

نساء الانقاص في سوريا



Photo: rédaction neuchâteloise de Voix d'Exils

اليد التي تهزُّ مهد الطفل الصغير هي اليد القادرة على تحريك العالم ()
وليام روس والاس . ستنتهي الحرب في سوريا في يومٍ من الأيام ويلتقي جنرلات
الحرب وأمرائها ، يتصافحون يشربون الأنخاب ويتقاسمون الغنائم ... أو ما تبقى
منها وتخلو الجبهات من المقاتلين الذين ينصرفون كلُّ الى شيطانه او كابوسه .
وحدها المرأة تبقى تداري حزنها ودموعها في ركن البيت او على النافذة تتصفح
الخراب على جانبي الطريق وحيدةً تنتظر ابنها الشهيد (الذي لن يعود) خلال
المقابلة التي أجريتها مع المحامي والناشطة الحقوقيه « لمى عنداني » وهي
معتقلة سياسييه سابقه قضت ٩ سنوات في سجون نظام القمع والدكتاتوريه في سوريا .
قالت : في سوريا اكثر من ٢٣٥٠٠ ضحيه قضاوا تحت اسقف البيوت المنهاره من جراء
قصف طيران النظام الأعمى وحلفائه ، او من جراء القنص على الطرقات اثناء رحلة
(الرغيف) المرعبه . في سوريا ٤٢٤٠ معتقلة في اقبية السجون وأفرع التحقيق
الرطبه التي لا تراها الشمس يعانين اقصى حالات الرعب والمعاناة على الصعيدين
النفسي والجسدي ، وأقسم لك ان فحيح صوت الجلاد المرعب ما زال صداه في أذني

وما زالت رائحة انفاسه الكريهه تخترقني وتشعرنني بالغيثان الى هذا اليوم ، وفوق كل هذا تتعرض المرأة في تلك الأقبية والزنازين كما هي في حواجز التشبيح ، للتحرش والإغتصاب . فالإغتصاب في بلدي لم يعد مجرد ردة فعلٍ لجنود غاضبين بل اصبح سياسةً ومنهجاً اثناء التحقيق او عند اقتحام البلدات والمدن من اجل كسر شخصيتها أو ارغام زوجها أو أخيها أو أو ...على الإعتراف أو الإقرار بما يريدون ، وأؤكد لك ان الإغتصاب لم يعد مقتصراً على الفتيات والنساء الشابات بل تعداه الى نساءٍ فوق الخمسين كما حدث مع الحاجه (رفيه) من حمص القديمه بل اكثر من ذلك فقد توثق لدينا الكثير من حالات الاغتصاب التي وقعت على الرجال والشباب اليافعين . أطرقت برأسها وأشاحت بوجهها عني لتخفي دموعاً تحاول ان تهرب من قبضة جفنيها ... صمتت قليلاً ثم قالت « ستنبت الأحلام بين الركام ويرقص الحب » فوق جراح الحرب « وسترى عندما تنتهي هذه الحرب القدره و ينقشع غبارها كيف في (les femmes de ruines) ان النساء في سوريا وكما فعلت نساء الأنقاض المانيا بعد الحرب العالميه الثانيه ونتيجة الدمار الشديد والنقص الكبير في أعدادالرجال ... تحملت المرأة الألمانية مسؤولية ازالة آثار الحرب وإعادة الإعمار والبناء ...كعادتها بصمتٍ وإصرار . كذلك النساء في سوريا المستقبل سيننون وطناً جديداً يغسلون جراحه بالدمع ويجبلون اسمنته بالحبّ والأمل . ولكي اعطي الموضوع حقه اتجهت ببحثي نحو الشمال السوري العزيز على قلوبنا جميعاً وبالتحديد الى مدينة الحسكه أم الإنتفاضات ، فالمرأة الكرديه كانت اسبق من مثيلاتها على امتداد الوطن السوري اذ استطعن تنظيم أنفسهن عبر تنظيمات وجمعيات مدنيه بل وعسكريه ايضاً بسبب الظروف الموضوعيه الخاصه بالشعب الكردي وحالة الاستهداف من كل الأنظمه التي يزرعون تحت حكمها!!ومن تلك وحدات (-) (HJKS) التنظيمات وعلى سبيل المثال (-) اتحاد النساء الكرد في سوريا وغيرهم كثير من اجل هذا كله اجريت مقابلهً مع الناشطه (YPJ) حماية المرأة والتي تقيم حالياً في سويسرا وقد قالت لي : انهيت (N-H) الكرديه الشابه المرجله الثانويه من دراستي رغم كل المصاعب والعراقيل التي تضعها السلطه امام الأكراد بشتى الوسائل لكي تبقئهم فريسةً للجهل والتخلف ولكني تابعت دراستي في الاقتصاد وعملت في صفوف الهلال الأحمر السوري والذي هو اشبه ما يكون بالصليب الاحمر في اوروبا ... عملت مع فريق الدعم النفسي لضحايا الحرب في سوريا وكان عملي يتركز بالدرجة الأولى مع الحلقة الأضعف في هذه الحرب (النساء والأطفال) وكل ما يعانونه من آثار ناتجه عن فقدان المأوى تحت قصف المدافع والطائرات إضافةً لليتم وما يعنيه من فقدان احد الأبوين بل الأسرة كلها في بعض الحالات وصولاً للإغتصاب والعنف الجسدي والنفسي وحتى تعرضهن للبيع كعبيدٍ وسبايا في سوق النخاسه في القرن الحادي والعشرين !! تعاملت مع كل الحالات التي وصلتني بمهنيةٍ ولم افرق بين كردي أو عربي ولأن قناعتني كانت دوماً (أن الحريه والديمقراطيه) هما الطريق الأفضل للوصول الى الوطن القومي (الحلم) الذي رضعناه من صدور امهاتنا ، سأذكر لك حادثه لها الأثر البالغ في نفسي صادفتها في منطقةٍ بعيده عن مسقط رأسي بحكم ظروف عملي ، هي عن فتاة في ريعان الصبا (١٩عاماً) اسمها « منال » اعتقلت في الجامعه لأنها رفعت علم الثوره على مبنى احدى الكليات مع زملائها وبقيت رهن الإعتقال اكثر من ٨ أشهر ثم أُفرجَ عنها بعد ذلك لتواجه نوعين من المصاعب والتحديات -الأول هو الآثار

الناجمة عن ظروف اعتقالها من عنفٍ جسديٍّ وتحرشٍ من قِبَلِ الجلاّدين والمحققين - ثانيهما نظرات الشكِّ والإتهام الذي تراه في عيون وعلى السنة أبيها وأخيها والتي تصل الى العنف في كثير من الأحيان وصولاً لتخلي خطيبها عنها وتركه إياها حتى أنّه لم يكلف نفسه عناء البحث عن أعذار ! وفي آخر مرةٍ التقيت منال فيها قالت لي بصوتٍ اقرب للهمس يخنقه الألم (أنا ما زلت في السجن لم أخرج منه بعد ، جدران السجن هي التي تبديت بجدران غرفتي في البيت ، والسجان الذي لا أعرفه هناك الى سجانٍ بت^س لا أعرفه الآن وهو اخي وأبي) وفي اليوم التالي سمعت أن^س منال قد ألقت بجسدها من شرفة البيت في الطابق الرابع لتنهى معاناتها وترسل بموتها رسالةً صادمةً الى الجميع بأن^س على الظلم والتخلّص أن يتوقف قصّة منال قد انتهت ولكن^س المأساة السورية ما زالت مستمره وأعداد الضحايا في ازدياد وفي مواجهة أصوات المدافع وهدير الطائرات تخبو أصوات الضحايا وتصبح مجرد ارقام في إحصائيات على شاشاتٍ بلا قلب أو مجرد أسماء على الحيطان ... من اجل هذا تراني هنا ، ولكي لا ننسى منال وحتى لا تصبح رسالتها بلا معنى فلنحفظها في قلوبنا ولنكتبها بحروفٍ من دمٍ ودمعٍ ضحايانا : الشعب السوري لا يحتاج الى اسلحةٍ وقنابل ليتحرّسَ ولكنه بحاجةٍ الى كل الشرفاء ومناضلي المجتمع المدني في العالم ليساعدوه على تحرير الأرواح والعقول أولاً وقبل كل شيء .

Informations

Version de l'article en français parue le 24 juillet 2017 sur Voix d'Exils disponible [ici](#)